سلف ودين

مريم أنيس / مصر

تشرق شمس يوم جديد ومازلت هائما في عالمي الغريب ، أري ، أتكلم ، ليس بي علة ، لكنني أشعر أن هناك خطب ما ، أشعر بتغييرات في حياتي ، لم أعد قادرا علي تحديد ما أريده ، ما أحبه ، أو ما أبغضه .

فتحت أجفاني ونظرت أتطلع الي النافذة ، أتفرس جمال الشمس وبهاءها ، فسطوعها أمل لليائسين ،ما كدت أتأمل هذا المنظر إذ بغبش ذكريات تقتحم مخيتلي ، تتناثر حولي مشاهد لا أدركها، أشعر يقينا أنها تخصني لكن لا يمكنني التعرف علي ماهيتها .

أري فتاة جميلة صغيرة تجري حولي تصرخ وتلعب منهمكة في لهوها، لا تعبأ بشئ سوى إنسجامها وفرحتها . أراها أمامي متجسدة ذات شعر أسود طويل ، وملامح جميلة تأخذ العقل والروح ، أغرق في براءة ضحكتها ، أتمنى لو يتوقف العالم عند هذه السعادة التي تهديها لي . أحبها بجنون ، أعشق عبثها ، لعبها ، براءتها .

أنها تنادني أجري تجهاها لألحق بها حتى أنعم منها بحضن دافيء ..... يا

إلهي ... لم لا أقوى علي اللحاق بها ؟ هي ليست بعيدة ! هي أمامي تجري ... أنتظري ... أسمعيني .... قفي .

أين أختفيت ؟! إنك تخصينني ! لا أعلم من أنت ! لكني أحبك .

فجأة تظهر أمامي سيدة لا أعرفها لكن أعلم أنها تأتي الي يومياً لتحضر لي الفطور . أريد أن أسألها عن تلك الطفلة الصغيرة الذي أراها دوماً ، أريدها أن تمكث معي .

لا طائل من هذه الأفكار ... لا يقين سوى ذلك الواقع الذي يعتريه السأم والكأبة . وبعدما تناولت الفطور الذي لا تختلف مكوناته كثيراً عن كل يوم ، جلست في الشرفة أرتشف بعض القهوة التي فرضت علي بدون سكر لدواعي صحية ، أخبرتهم كثيراً أني أحبها زائدة السكر ولكنهم يقولون أنني منذ شبابي وأنا أتناولها بدون السكر ؟! هل يعقل أني أحب طعم تلك المرار ! أما يكفي مرار تلك الأيام التي تمر ثقيلة كالجبال !

ثم جاءت السيدة التي تعتني بأمري و أخبرتني أنه جاء موعد الدواء ، لا أعلم أي دواء أحتاجه ومما

أعاني ولكني رضخت للأمر .

شئت أم أبيت ، هذا هو يومي : فطور وغداء و عشاء ثم نوم وأعيد تلك الدورة ، هكذا أقضي حياتي ، أشعر أنني في سجن مقيت .

أتذكر شيئا أشبه برواية ممزقة أحاول لملمتها، أشعر أنني كنت ذا قيمة يوماً ما ، أتذكر ما يشبه مهاما كثيرة، زملاء، ابتسامات مسروقة بعد عناء العمل
ثم يتلاشى كل شيء

مرت الأيام كعادتها زاحفة كالسلحفاة ، وجاءت تلك السيدة تعرض علي التنزه قليلاً ، سعدت جداً . فلم أكن قدر رأيت الشارع من بضعة أشهر ،

فلا أراه فقط إلامن الشرفة .أرتديت ملابسي. خرجت معها وذهبنا إلي حديقة جميلة تكتظ بأطفال يركضون هنا وهناك . أتطلع إليهم وأشعر فرحتهم بوجودهم بجانب أفراد أسرتهم .

أما أنا فأعتراني الصمت الي أن تسلل ألي صوت تلك السيدة ، قالت " هل

أنت سعيد ؟ أتمني أن تكون راضياً ! " فسكت برهة أفكر ،ما بالها تشغل نفسها بسعادتي. من تلك المرأة ؟! فأومأت برأسي بالأيجاب . أما هي فتبسمت .

أكتنفتني الذكريات ثانية ، فسرت معها طائعاً ، تذكرت عندما كنت أتدفأ بحنان أمي ، أستيعد رائحة حضنها حينما أجري عليها لأرتمي بأحضانها صغيراً . تذكرت بغتة عندما كبرت وظللت أعتني بها وأرعاها وأقبل يداها . أذكرها جيداً حينما كانت تملأ أذناي من الدعاء لي . أمي التي لا أنساها

عالقة هيً بقلبي .
أفقت علي قبلة تطبعها- تلك السيدة التي مازلت لا أعرفها -علي يدي ، فهبت المنظر ! وتساءلت دون أن أتكلم ، لماذا ؟ ... من أنت ؟ " أني أحبك " قالتها وسكتت ثم أستأنفت " أطال الله في عمرك يا أبي " لم تتحرك ملامحي ، كنت ساكناً ، ...أستقبلت كلماتها بعجب وفرح ، فلقد أجابت عن أسئلتي : أنها أبنتي ، نعم ! تلك الصغيرة التي كنت أتمني أن ارها ، أفتقدها وهي بجانبي طول الوقت ، كبرت وأصبحت سيدة كبيرة تتفقد أبوها وترعاه .

فقالت : أبي ! أنا لا أحزن عندنا تنساني وتتعامل معي كغريبة عنك ! فأنا أعلم طبيعة مرضك " الزهايمر " دائماً يحدث هذا ، تنساني ثم أذكرك ، تتكرر تلك الحادثة كل فترة . لكني أحبك وسأظل معك أعتني بك كما أعتنيت بي صغيرة وربيتني . لن أنسى فضلك ومحبتك لي.

أبتسمت قائلاً : هل تجري الأيام بتلك السرعة ! أطيافك وانتي صغيرة لم تتركني وكنت أتوق لأراكِ ولم أعرف من تلك الطفلة التي تأسر كياني ! وأنتي بجانبي طول الوقت لم تتركيني ! مرت السنون وكبرت أبنتي وكما لم أنس أفضال والدي وكنت باراً بهما ، تحنن الله علي وها هي أبنتي بارة بي . صدقت أمي حين قالت : الدنيا سلف ودين !